وسائل الدعوة القولية

من خلال كتاب

"معيد النعم ومبيد النقم"

للإمام تاج الدين السبكي المتوفي ٧٧١هـ

دراسة تحليلية

إعداد

دكتور / أسامة حمدي سعد السيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

وسائل الدعوة القولية من خلال كتاب "معيد النعم ومبيد النقم "للإمام تاج الدين السبكي المتوفى ٧٧١هـ، دراسة تحليلية.

أسامة حمدي سعد السيد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: osama.elsayed@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

الوسائلُ القولية من أهمِّ وسائلِ الدعوة الإسلامية حيث تعد أصلاً في تبليغ الدعوةِ للمدعوين، ولأهمية تلك الوسائل فقد اعتنى بها العلماء وتكلموا في فقهِهَا وضوابِطها وعوامل نجاحها حتى يستطيع الداعية الاستفادة منهـا. وممن عنى بذلك الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى ٧٧١هـ، في كتابه: (مُعِيدُ النِّعَمِ ومُبِيدُ النِّقَمِ)، حيث يقدم ضمن هذا الكتـاب رؤيـةً عِلميةً رصِينةً لما ينبغي أن يكون عليه حال الداعية في استخدامه لبعض وسائل القول المختلفة من الخطبة والدرس والقصص حتى يـؤدي دوره المنوط به على أتم الوجوه وأحسنها؛ ومن ثم أتناول في هذه الدراسة تلك الرؤية العلمية للإمام السبكي حول وسائل الدعوة القولية تناولا يكشف عن أعماقها ويشرح معالمها.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي، وتوصلت إلى النتائج التالية: يُعد الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله صاحب نظرة علمية ثاقبة ورؤيـة منهجية دقيقة فيما يتعلق بعمل الداعية وما يلزم له من مكونات تأخذ بيديه للدعوة إلى الله على بصيرة.

حَرِص الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله على بيان معالم نجاح الداعية حال تعامله مع وسائل الدعوة المرتبطة بالقول، وكيف يتحرك الداعية من خلال تلك الوسائل وفق منهج محكم ليسلك بالمدعوين مسالك الرشد.

وأقترح ما يلي: العمل على إحياء التراث الفكري لعلماء الأمة المتعلق بتوجيه العمل الدعوي واستلهام هذا التراث والتفاعل معه بما يعود بالنفع على الدعوة والدعاة.

الكلمات المفتاحية: وسائل ــ الدعوة ــ القولية ــ تاج الدين السبكي ــ معيد النعم ــ مبيد النقم.

The means of dawa advocacy through the book "The Ma'ayed al-Na'm and the Exterminator of The Vengeance" by Imam Taj al-Din Al-Subki (771 Ah), an analytical study.

Osama Hamdi Saad Al Sayed

Department of Islamic Da'wa and Culture, Faculty of Religious Origins and Islamic Da'wa Tanta, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: osama.elsayed@azhar.edu.eg

Abstract:

The means of saying are one of the most important means of Islamic da'wa, where it is originally considered in communicating the invitation to the invitees, and because of the importance of those means, the scholars took care of them and spoke in their jurisprudence and controls and factors of success so that the preacher can benefit from them. Imam Tajaldin Abdul Wahab al-Subki, who died 771 Ah, in his book,[100) provides a sober scientific view of what the preacher should be in using some of the various means of speech, lesson and stories in order to perform his role in the best and best of all, and then i address in this study the scientific vision of the Sbaki Imam about the means of dawa and explain its depths.

The analytical approach was followed in this study and reached the following conclusions:

Imam Taj al-Din al-Subki, may God rest his soul, has an insight and a precise systematic vision regarding the work of the preacher and the necessary components that take his hands to call on God for insight.

Imam Taj al-Din al-Subki was keen to explain the milestones of the prophet's success when dealing with the means of preaching related to the saying, and how the preacher moves through these means in accordance with a well-judged approach to take the paths of majority.

I propose the following: to revive the intellectual heritage of the nation's scholars in guiding, inspiring and interacting with this heritage to the benefit of advocacy and preachers.

Keywords: The means of calling are the crown of religion, the sbaki, the purveyor of the exterminator.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين، والصلاةُ والسلامُ على خاتَم النبيين، ورحمةِ الله للعالمين، وقائدِ الغر المحجلين، وإمام الدعاة إلى رب العالمين، سيِّدِنا ونبيِّنا وإمامِنا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدعوة إلى الله عز وجل هي أشرف المقامات وأزكاها، وأفضل الأعمال وأجلها، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (١)

وهي طريقة أتباع الأنبياء من الدعاة الصادقين والمصلحين الناصحين قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٢)

وحتى تكون الدعوة إلى الله على بصيرةٍ لا بد للدعاة من معرفة الوسائل التي يستطيعون من خلالها تبليغ الدعوة إلى المدعوين والأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم في العاجل والآجل، وعلى قدْر عنايةِ الداعية بالوسائل الدعوية وفقهها يكون تحقيقُه لأهداف العمل الدعويّ.

وتتنوع وسائلُ الدعوة باعتباراتٍ متعددةٍ فمنها الوسائلُ المعنوية ومنها الوسائلُ المادية والتي تتنوعُ بدورها إلى وسائلَ ماديةٍ فطريةٍ كالوسائل

---

١ - سورة النساء، آية ١٦٥

٢ – سورة يوسف، آية ١٠٨

المرتبطة بالقول، وإلى وسائلَ مكتسبة كالكتابة والإذاعة وإلى وسائل تطبيقيةٍ عمليةٍ كإعمار المساجد وإنشاء المؤسساتِ الدعوية ([1])

ولا شك أن من أهمِّ وسائلِ الدعوة الوسائلُ القولية والتي تعد أصلاً في وسائلِ التبليغ وإيصال الدعوةِ للمدعوين، ولأهمية تلك الوسائل القولية فقد اعتنى بها العلماء وتكلموا في فقهِهَا وضوابِطها وعوامل نجاحها حتى يستطيع الداعية الاستفادة منها.

وممن عنى بذلك من العلماء قديماً الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى ٧٧١هـ ، في كتابه الماتع : مُعِيدُ النِّعَمِ ومُبِيدُ النِّقَم ، حيث يقدم ضمن هذا الكتاب رؤيةً عِلميةً رصينةً لما ينبغي أن يكون عليه حال الداعية في استخدامه لوسائل القول المختلفة من الخطبة والدرس والقصص حتي يؤدي دوره المنوط به على أتم الوجوه وأحسنها؛ ومن ثم فقد استعنت الله تعالى في تناول تلك الرؤية العلمية للإمام السبكي حول وسائل الدعوة القولية تناولا يكشف عن أعماقها ويجلي سماتها ويشرح معالمها، ويلخص أفكارها؛ وفيما يلي بيان أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث فيه وتقسيم الدراسة:

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: أن المسئولية العلمية والدعوية تقتضي أن نقف على تلك الرؤى العلمية التي جادت بها قرائح علمائنا تأصيلا لعلوم الدعوة وفقهها.

---

[1] – المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني ص ٢٨٣، ٢٨٤، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، وانظر: وسائل الدعوة، د / سعيد محمد اسماعيل الصاوي، ص ٣٤ ،٣٥، نشر ناس للطباعة، الطبعة الرابعة ٢٠١٦م

ثانيا: إن رؤية الإمام السبكي لاستخدام الوسائل الدعوية القولية رؤية جديرة بالاحترام والتقدير؛ فهي رؤية علمية منهجية صادرة عن عالم كبير وإمام جليل له قدره بين أعلام الأمة في القديم والحديث.

ثالثا: إن مثل تلك الرؤى العلمية من شأنها أن تربط الدعاة بتراثهم الفكري الأصيل وكيف يمكن استلهامه والاستفادة منه والتحول إلى مواقع أكثر إيجابية في التفاعل معه.

رابعا: إن الوقوف على مثل هذا التراث الأصيل في ميدان العمل الدعوي من شأنه أن يضبط العمل الدعوي فيما يتعلق بفقه وسائل الدعوة.

خامسا: إن الأمام السبكي رحمه الله في تناوله لوسائل تبليغ الدعوة كان مخلصا مدققا، وناقدا بصيرا يضع يده على مواضع الخلل في استخدام تلك الوسائل ومن ثم يصحح مسار الدعاة بما يضمن تأثير تلك الوسائل ووفاءها بمتطلبات العمل الدعوي.

منهج البحث: تطلب البحث استخدام المنهج الوصفي (١) عرضاً وتنظيراً، ثم المنهج التحليلي(٢)، كما لا غنى لي عن الاستفادة ببقية المناهج التي تخدم البحث.

---

١ – المنهج الوصفي: هو المنهج الذي يقوم على استقراء المواد العلمية التي تخدم إشكالا ما أو قضية ما وعرضها عرضا مرتبا ترتيبا منهجيا، انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري ، ص٦٦ ، نشر منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م...

٢ – المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة الإشكالات تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً.. انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص٩٦.

تقسيم الدراسة: تأتي هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فأتناول فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه، وتقسيم الدراسة، وأما التمهيد فأتناول فيه تحرير مفردات عنوان البحث.

وأما المبحث الأول: فأتناول فيه وسيلة الدرس وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكي.

وأما المبحث الثاني فأتناول فيه: وسيلة الخطبة وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكي.

وأما المبحث الثالث فأتناول فيه وسيلة القصة وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكي

وأما الخاتمة: فتشمل النتائج والتوصيات. والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

التمهيد

ويتضمن ما يلي:

أولا: التعريف بمصطلح وسائل الدعوة القولية:

للتعريف بهذا المصطلح نقوم بتعريف مفرداته أولا حتى نصل من خلالها إلى تعريف عام يشملها جميعا، وفيما يلي بيان ذلك:

تعريف الوسائل لغة واصطلاحا:

١-الوسائل في اللغة: جمع وسيلة وهي مشتقة من الفعل (وسل) والذي تدور مادته في معاجم اللغة حول الوصلة والقربة "فالوسيلة ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به"(١)

٢- الوسائل اصطلاحا: هي" ما يتقرب به إلى الغير"(٢) وقيل " هي ما يتوصل به إلى تحصيل شيء ما"(٣)

تعريف الدعوة لغة واصطلاحا:

١-الدعوة لغة: مشتقة من الفعل (دعا) وتدور مادته في معاجم اللغة حول معان متعددة منها العبادة والاستغاثة والتوحيد والنداء والصيحة والتسمية والنسب والطلب والحث على الاعتقاد. إلى غير ذلك من المعاني التي تذخر بها كتب المعاجم اللغوية (٤) الأمر الذي يدل على هذه الكلمة من

---

١ – لسان العرب، لابن منظور، ٧٢٤/١١، نشر دار صادر بيروت.

٢ – التعريفات للجرجاني، ص ٣٢٦، نشر دار الكتاب العربي، بيروت

٣ – التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٧٢٦، نشر دار الفكر– بيروت

٤ – انظر لسان العرب، ٢٥٧/١٤

الألفاظ المشتركة (١) وأن الذي يوضح معناها إنما هو سياق الكلام الـذي وردت فيه.

٢- الدعوة اصطلاحا: بالنظر إلى تعاريف علماء الدعوة يتضح من خلال تعاريفهم أن هناك من اعتبر الدعوة بمعنى الدين فجاء تعريـف الـدعوة عنده منبثقا عن هذا الأصل وهناك من راعى في تعريفه الجانب العملـي للدعوة فعرفها بمعنى البلاغ والنشر؛ فمن تعاريفها بمعنى الدين أنهـا: " الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن الكريم وبينهما في السنة النبوية " (٢)

ومن تعاريفها بمعنى التبليغ والنشر أنها " العلـم الـذي بـه تعـرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليـغ النـاس الاسـلام بمـا حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " (٣)

ولا شك أن الدعوة بهذين المعنيين يجب أن تكون موضع اهتمام الدعاة في كل زمان ومكان بدراستها دراسة متخصصة متعمقة في كل ما يتعلق بها من قريب أو بعيد (٤)

---

١ – اللفظ المشترك: هو ما دل على معنيين أو أكثر بوضع مختلف علـى التبـادل. انظر أصول الفقه لأبى زهرة ص ١٥٥، ١٥٦، نشر دار الفكر.

٢ – الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش ص١٢، ١٣ ط دار الكتـاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٨م

٣ – السابق ص ١٠

٤ – انظر وسائل الدعوة، د/ سعيد الصاوي، ص ١٧

جـ- تعريف القول لغة واصطلاحا:

القول لغة: كل لفظ قال به اللسان تاما كان أو ناقصا ([1])

القول اصطلاحا: يطلق على اللفظ الذي يفيد معنى، وقد عرفه العلماء بأنه " الكلام المركب من الحروف المبرز بالنطق مفردا كان أو جملة"([2])

ومن خلال هذه التعريفات السابقة لمفردات (الوسائل والدعوة والقول) يمكن القول: إن وسائل الدعوة القولية هي كل لفظ مفهم دال على معنى يتوصل الداعية من خلاله إلى تبليغ الدعوة وجذب المدعوين إلى الإسلام، ومن أمثلة تلك الوسائل الخطبة والدرس والندوة والمحاورة والمناظرة ونحوها مما يندرج تحت أنواع القول الذي يتوصل به إلى التبليغ.

---

١ – لسان العرب، ٥٧٢/١١

٢ – المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٦٨٨، نشر دار العلم، دمشق، ١٤١٢هـ

ثانيا: التعريف بكتاب معيد النعم ومبيد النقم:

كتاب معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكي كتاب من أجلِّ كتبه وأنفعها، وفكرة تأليفه لهذا الكتاب وردت إجابة على سؤال وُجِّه إليه كما يحكي في مقدمة كتابه حيث يقول:" فقد ورد عليَّ سؤال مضمونه، هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية، إذا سلكها عادت إليه وردت عليه؟ فكان الجواب: طريقه أن يعرف: من أين أتي فيتوب منه ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها، ثم يتضرع إلى الله تعالى"(١)

ثم زاد الإمام رحمه الله السائل شرحا بذكر ما من شأنه أن يحفظ على الإنسان النعم ويزيل عنه النقم فبين أن الأصل في ذلك أن يقوم كل صاحب عمل بعمله على الوجه الأمثل بأن يتقن عمله وأن يخلص فيه فيؤديه على الوجه الذي يرضي الله عز وجل ؛ ثم فرع الإمام على ذلك ذكر الأعمال والوظائف التي كانت في عصره فذكر منها مائة وثلاث عشرة وظيفة مبينا ما ينبغي على كل صاحب وظيفة أن يقوم به إن أراد أن يحفظ الله عليه النعمة ، فإذا أدى كل واحد ما عليه وقام بواجبه على الوجه المرضي نشأ عن ذلك مجتمع فاضل وصالح تحفظ فيه النعم وتزول عنه النقم ، وكان من جملة الوظائف التي ذكرها الإمام الوظائف المتعلقة بعمل الداعية ووسائله في دعوته فتحدث عن الداعية خطيبا ومدرسا وواعظا وإماما وقاصا إلى غير ذلك من الوظائف التي تمثل في مجموعها مهمات الدعاة إلى الله تعالى .

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ١١، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

وهو في بيانه لكل لتلك الوظائف والمهمات وما يلزمها يصدر عن علم واسع وخبرة كبيرة بأحوال عصره، ودراية وتدقيق، فيضع يده على مواضع الخلل فيسدها، ويصحح ويوجه ويرشد بعلم وحكمة، ليخرج هذا الكتاب في أبهى حلة مرشدا لأسباب حفظ النعم وإعادتها، ورد النقم وإبادتها.

ثالثا: التعريف بالإمام تاج الدين السبكي:

اسمه ومولده: هو الإمام عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين الإمام العلم شيخ الإسلام وقاضي القضاة المؤرخ الأصولي الفقيه، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ (١)

طلبه للعلم وأبرز شيوخه ومناصبه:

ولد تاج الدين السبكي في بيت علم وورع وفضل فأبوه قاضي القضاة الإمام الكبير تقي الدين السبكي (٢) وقد تلقى العلم على

---

١ – انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، ٣٣١/١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٨٤/٤، نشر مكتبة المثنى، بيروت.

٢ – علي بن عبد الكافي السبكي أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) سنة ٦٨٣هـ وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها سنة ٧٥٦هـ، من كتبه " الدر النظيم " في التفسير، و " مختصر طبقات الفقهاء "والاغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض " و " التمهيد فيما يجب فيه التحديد، و " السيف الصقيل و " المسائل الحلبية وأجوبتها " في ==

يدي والده صغيرا كما أجازه كبار العلماء في مصر كابن سيد الناس (١) قبل أن يرحل مع أبيه إلى دمشق حيث ولي أبوه منصب قاضي القضاة (٢).

وفي دمشق "قرأ على الحافظ المزي (٣) ولازم الذهبي (٤) وتخرج به، وطلب بنفسه ودأب؛ وأجازه شمس الدين بن

==

فقه الشافعية، و " السيف المسلول على من سب الرسول و " مجموعة فتاوى " انظر الأعلام للزركلي ٣٠٢/٤، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢م.

١ – محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث، له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، ولد في القاهرة سنة ٦٧١هـ. وتوفي بها سنة ٧٣٤هـ من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) انظر الأعلام ٣٤/٧

٢ – انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، ٣٩٠/١.

٣ – يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي: محدث الديار الشامية في عصره. ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ، ونشأ بالمزة (من ضواحي دمشق) وتوفي في دمشق سنة ٧٤٢. مهر في اللغة، ثم في الحديث ومعرفة رجاله. وصنف كتبا، منها " تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، انظر الأعلام٢٣٦/٨

٤ – هو الإمام الحافظ العلامة المحقق المؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ، وتوفي بها سنة٧٤٤هـ، وقد قاربت مصنفاته المائة، منها سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، والكبائر، وتهذيب تهذيب الكمال، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، ...انظر الأعلام ٣٢٦/٥

النقيب([1]) بالإفتاء والتدريس"([2])،

وقد تولى التدريس في المدارس العلمية الكبرى في مصر والشام، وبرع في كثير من الفنون والعلوم "فحصل فنونا من العلم من الفقه والأصول وكان ماهرا فيه والحديث والأدب وبرع وشارك في العربية وكان له يد في النظم والنثر جيد البديهة ذا بلاغة وطلاقة لسان وجراءة جنان وذكاء مفرط وذهن وقاد "([3]).

كما تولى منصب الخطابة في جامع دمشق، ثم ولي القضاء بها وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة وهو مع ذلك في غاية الثبات ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل من أساء إليه وكان جواداً مهيباً ([4])

---

[1] – محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن حمدان شيخنا قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب الحاكم بحمص ثم طرابلس ثم حلب ثم مدرس الشامية البرانية وصاحب النووي وأعظم بتلك الصحبة رتبة علية وله الديانة والعفة والورع، ولد سنة ٦٦٢هـ، وكانت وفاته سنة ٧٤٥هـ، انظر طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين السبكي، ٣٠٦/٩، نشر دار هجر للطباعة، الطبعة الثانية١٤١٣هـ،

[2] – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، ٢٢١/٦، نشر دار ابن كثير، دمشق.

٣ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، ٢٢١،٢٢٢/٦

٤ – انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣٣٣/١

مصنفاته:

ترك الإمام تاج الدين السبكي مصنفات كثيرة جمة الفوائد ومن أبرز تلك المصنفات:([1])

١-طبقات الشافعية الصغرى والوسطى الكبرى.

٢ -معيد النعم ومبيد النقم.

٣- شرح منتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل سماه رفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب

٤- الفتاوى.

٥- شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي.

وفاته:

توفي رحمه الله شهيدا بالطاعون في سابع ذي الحجة سنة ٧٧١ خطب يوم الجمعة فطعن ليلة السبت رابعه ومات ليلة الثلاثاء ([2])

١ - معجم المؤلفين: ٢٢٦/٦

٢ - انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣٣٣/١

المبحث الأول: وسيلة الدرس وعوامل نجاحها من خلال كتاب (معيد النعم ومبيد النقم):

المطلب الأول: من عوامل نجاح الدرس حسن الإلقاء والتفهيم للحاضرين.

المطلب الثاني: التأهيل العلمي المناسب للمدرس.

المطلب الثالث: مراعاة الفروق الفردية بين الدارسين.

المطلب الرابع: أمور يجب أن يتحرز عنها المدرس.

المبحث الأول

وسيلة الدرس وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

الدرس من أبرز الوسائل الدعوية التي لا غنى عنها في العمل الدعوي، وذلك لوظيفته التي يؤديها في تعليم المدعو ما يجهله من أمور دينه بطريقة سهلة بعيدة عن التكلف والتعقيد؛ لأن مبناه على اليسر والسهولة في طرح الموضوعات المختلفة؛ ولهذا عرف علماء الدعوة الدرس بأنه: " وسيلة دعوية يتوجه بها الداعية لتعليم المدعو كل ما يجهله بطريقة سهلة مبسطة حال كونه عددا قل أو كثر "([1])

وبهذا تتضح الغاية من الدرس كوسيلة دعوية قولية تهدف إلى تعليم المدعوين وتوصيل مضمون دعوي يحتاجونه في أمور دينهم ودنياهم.

ومع بزوغ فجر الدعوة الإسلامية استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الدرس كوسيلة لتعليم الصحابة – رضوان الله عليهم– ما يحتاجونه من شئون الدين والدنيا، فكان صلى الله عليه وسلم يعقد لهم حلقات التعليم بين الحين والحين ليدرسهم ما ينفعهم، وشواهد ذلك في سنته صلى الله عليه وسلم كثيرة ([2]).

---

١ – وسائل الدعوة، د / سعيد محمد اسماعيل الصاوي، ص ٨٣، نشر ناس للطباعة، ط الرابعة ٢٠١٦ م،

٢ – من شواهد ذلك في السنة النبوية المطهرة: ١– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، ....." الحديث ==

وقد استنبط العلماء من هذا الهدي النبوي " استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس والمسجد أفضل فيذاكرهم العلم والخير وفيه جواز حلق العلم والذكر في المسجد واستحباب دخولها ومجالسة أهلها وكراهة الانصراف عنها من غير عذر واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعا بينا ويتأدب بأدبه" (١).

وقد ترسم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم خطى نبيهم – صلى الله عليه وسلم –في تفعيل وسيلة الدرس فعقدوا حلقات الدروس يعلمون الناس القرآن والسنة وأحكام الإسلام.

==

أخرجه ابن حبان في صحيحه صحيح ابن حبان، ١٧٥/٣، برقم ٨٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.،، ٢– عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا ... " الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، بَاب مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، ٣٦/١ ، برقم ٦٦ ، تحقيق د /مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت

١ – شرح النووي على مسلم، ١٥٩/١٤، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ+، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ١٥٧/١، نشر دار المعرفة بيروت.

ومن بعد الصحابة الكرام لا يزال الدرس أداة فاعلة ووسيلة داعمة للعمل الدعوي، مؤديا دوره التوعوي والوعظي للأمة في مرونة يتصف بها دون غيره من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

ولما كان للدرس تلك المكانة التي يتبوئها وجد اهتماما من العلماء في القديم والحديث تأصيلا وبيانا لدوره وعوامل نجاحه وفاعليته ، وممن تصدى لذلك من العلماء الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله وقد كان التدريس في زمانه وظيفة جليلة ومهمة عظيمة يُختار لها الأكفاء من الناصحين ، فتناول الإمام السبكي رحمه الله تلك الوظيفة مبيناً أهميتها وما ينبغي أن يكون عليه حال المدرس من ناحية الإلقاء والإعداد وما ينبغي أن يراعيه في التدريس حتى يؤتي ثماره المرجوة ، وسوف أتناول في هذا المبحث كلام الإمام السبكي حول الدرس من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: من عوامل نجاح الدرس حسن الإلقاء والتفهيم للحاضرين

يؤكد الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله على أن الدرس الناجح هو الدرس الذي توفر له حسن الإلقاء والتفهيم للسامع فيقول " وحق عليه – أي على المدرس – أن يحسن الإلقاء والتفهيم " (١)

ولا شك أن مبنى نجاح الداعية المدرس مرتبط بجودة الإلقاء وحسن التفهيم، وذلك مطلب رئيس لمن تصدر للتدريس، وحتى يتحقق ذلك المطلب لا بد من بناء يتكامل فيه إعداد المدرس وتهيئته ليكون على قدر تلك المهمة إلقاءً وتفهيما للدارس؛ وهذا البناء بدوره يعد نتاج سلسلة مترابطة من المراحل التي لا بد أن يمر بها الداعية المدرس حتى يصل إلى ما أشار إليه الإمام السبكي من حسن الإلقاء والتفهيم، ويمكن إجمال تلك المراحل وما يتعلق بها فيما يلي:

أولا: حسن إعداد الدرس وأثره في تحقيق التفهيم

إن الدرس الدعوي الناجح هو الدرس الذي أحسن صاحبه إعداده وتهيئته قبل إلقائه على المدعوين، وهذا الإعداد مسئولية وأمانة ولذلك ينبغي أن يُعْنَي الداعية بإعداد درسه إعدادا متكاملا.

ويخطئ بعض الدعاة عندما يظن أن دوره في الدرس وواجبه المنوط به هو مجرد تأدية الدرس بأي شكل من الأشكال فيؤديه دون إعداد مسبق فلا يحسن الإلقاء ولا يحسن التفهيم وتضيع فائدة

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٣

الدرس ودوره في التوجيه، وهذا بلا شك ناشئ عن فهم قاصر للمسئولية والأمانة التي تحملها ذلك الداعية.

ومن هنا لا بد من إعداد مسبق للدرس يراعى فيه ما يلي:

١- حسن اختيار موضوع الدرس بأن يربطه بواقع الناس وما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم، فذلك أدعى للإقبال على الدرس والتفاعل معه، أما إذا كان الدرس بعيدا عن واقع المدعوين ومجال اهتماماتهم فلن يكون له تأثير يذكر.

٢- تخطيط الموضوع تخطيطا يتضمن رؤية شاملة لأبعاده وإلى أي مدى يمكن أن يستفيد منه المدعوون، فضلا عن أن هذا التخطيط لأداء الدرس يمثل منهجا ضروريا يساعد على ترتيب الأفكار، وتنظيم عناصر الدرس، وشرح مسائله بطريقة ميسورة، والوقوف على صعوباته ومشكلاته، وهذا بدوره يسهم إسهاما فاعلا في الوصول إلى ما أكد عليه الإمام السبكي من ضرورة حسن التفهيم كعامل من عوامل النجاح للدرس.

٣- تحديد أهداف الدرس، وما من شك في أن تحديد الأهداف في أي عمل من الأعمال من شأنه أن ينظم هذا العمل وينأى به عن الارتجال والعشوائية، ومن هنا لا بد للداعية المدرس أن يحدد أهدافه من الدرس، وكلما كانت أهدافه واضحة كلما ساعد ذلك في تفهيم الدارسين وتوضيح مادة الدرس بطريقة سهلة يصل الداعية من خلالها إلى تحقيق

أهدافه التعليمية والتربوية والإصلاحية وغيرها من الأهداف المبتغاة من الدرس.

٤- مراعاة التحضير الجيد لمادة الدرس من خلال المصادر الأصيلة في موضوع الدرس، ويعتبر هذا التحضير جزءاً رئيساً من عملية إعداد الدرس، وبدونه يفقد الدرس جدته وأهميته لأن الداعية حينئذ لن يوفي الدرس حقه من التفهيم المطلوب الذي يوجبه الإمام السبكي في حق المدرس حتى يكون الدرس فاعلا ومؤثرا، ولذلك يؤكد الدكتور عبد الكريم زيدان على أهمية التحضير كشرط أساسي لأداء الدرس فيقول: " ويشترط للداعي في درسه أن يحضر مادته مسبقاً تحضيراً جيداً " (١)

وعلى الداعية في تحضيره للدرس أن يقتصد فلا يتوسع ويستطرد فيبعث الملل في نفوس المدعوين، ولا يوجز فيقصر عن التفهيم المطلوب، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ثانيا: تهيئة المدعو لسماع الدرس وأثره في تحقيق أهداف الدرس

إن تهيئة المدعو لتلقي الدرس لا يقل أهمية عن تهيئة الدرس وإعداده، وإذا كان الإمام السبكي رحمه الله يوجب على المدرس حسن التفهيم فإن جزءا هاما من ذلك المطلوب يتوقف على تهيئة

١ – أصول الدعوة، دكتور عبد الكريم زيدان ، ٤٧٦، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

المدعو لكي يفهم الدرس ويعيه. وقد أرشد القرآن الكريم الدعاة إلى أن الموعظة النافعة المثمرة هي التي توفر لها في جانب المدعو مجموعة من العناصر أهمها حضور القلب وصفاء الفكر وإصغاء السمع وهي العناصر التي تضمنها قول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾(١)

ففي تلك الآية إشارة إلى أهل الإيمان حيث ينتفعون بالتذكرة والموعظة لأنهم يدركون بعقولهم ويصغون بأسماعهم ويشاهدون بأعينهم فيحصل لهم الانتفاع دون غيرهم من أهل الغفلة الذين لا ينتفعون بالموعظة، ولهذا يقول الإمام الطاهر بن عاشور –رحمه الله– في تفسيره للآية: " وَالْقَلْبُ: الْعَقْلُ وَإِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ. وَإِلْقَاءُ السَّمْعِ: مُسْتَعَارٌ لِشِدَّةِ الْإِصْغَاءِ لِلْقُرْآنِ ومواعظ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ أَسْمَاعَهُمْ طُرِحَتْ فِي ذَلِكَ فَلَا يَشْغَلُهَا شَيْءٌ آخَرُ تَسْمَعُهُ .... وَهَذِهِ حَالَةُ الْمُؤْمِنِ فَفِي الْكَلَامِ تَنْوِيهٌ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ بُعَدَاءٌ عَنِ الِانْتِفَاعِ بِالذِّكْرَيَاتِ وَالْعِبَرِ. وَإِلْقَاءُ السَّمْعِ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ يُوقِظُ الْعَقْلَ لِلذِّكْرَى وَالِاعْتِبَارِ إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ غَفْلَةٌ."(٢)

وانطلاقا من هذا الكلام، وبناءً على ما أشار إليه الإمام السبكي من حسن التفهيم للدرس لا بد من تهيئة المدعو عقلا ونفسا ليفهم

---

١ – سورة ق، الآية رقم ٣٧

٢ – تفسير التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور ٢٦ / ٣٢٤، نشر الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

مضمون الدرس ويدرك معانيه، وإن مما يعين الداعية المدرس على ذلك ما يلي:

١- **المشاركة الوجدانية مع المدعوين بحيث** " يجلس بينهم وفي وسطهم كأنه واحد منهم وهم يجلسون بين يديه، لا يفصل بينه وبينهم شيء يتحدث إليهم وفي ذات الوقت يسمع منهم ويصغى إليهم، ويشاركهم في الحديث من خلال سؤال أو استفسار "(١)

٢- **استخدام عناصر التشويق التي تمهد للدرس** وتهيئ المدعو لتلقي مادته وتجعله حاضر الذهن منتبهاً، بعيدا عن الصوارف والشواغل ومن تلك العناصر على سبيل المثال أن يبدأ الدرس بآية قرآنية أو حديث شريف أو قصة معبرة أو مثل أو حكمة مأثورة أو سؤال محفز .... ونحو ذلك من عناصر تشوق للكلام وتهيئ سامعه للإنصات.

٣- **مراعاة أحوال المدعوين وظروفهم**، فالمدعو بشر له طاقات محدودة، واستعداد معين، وحتى يكون متهيئا للدرس وفهمه لا بد من مراعاة نشاطه وجاهزيته واستعداده وحالته النفسية والذهنية، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن مسعود- رضي الله

١ – دراسات في وسائل الدعوة، د / عبد العزيز عبد البصير، ص ١٣٦.

عنه – قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا" (١)

ففي هذا الحديث " بيان رفق النبي عليه السلام بالأمة وشفقته عليهم ليأخذوا منه بنشاط وحرص لا عن ضجر... فكان يعظ الصحابة في أوقات معلومة ولم يكن يستغرق الأوقات خوفا عليهم من الملل والضجر"(٢)

فإذا أدرك الداعية ذلك الأمر استطاع حينئذ أن يجد قلوبا حاضرة وآذانا مصغية، فينهض بالدرس ويجعله مثمرا قد تأكد في حق قائله ما أشار إليه الإمام السبكي رحمه الله من حسن الإلقاء والتفهيم.

ثالثا: العناية بوسائل التدريس وطرقه:

حتى يصل الداعية إلى المطلوب الذي أكد عليه الإمام تاج الدين السبكي من حسن إلقاء الدرس وتفهيمه لا بد من العناية بوسائل التدريس وأدواته وطرقه المختلفة والتي تسهم بحظ وافر في توصيل مادة الدرس وحملها إلى المدعوين، ولا شك أن تلك

---

١ – الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه في: كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/٣٧، برقم٦٨، وأخرجه مسلم في صحيحه في: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، ٤/٢١٧٢، برقم ٢٨٢١، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني، ٢/٦٨، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

الوسائل معينة وفاعلة ومنتجة وكلما كان للداعية نصيب من حسن توجيهها لخدمة درسه وتوضيحه كلما كان ناجحا، وكان لدرسه أثر وفاعلية في نفس المدعو، وهذا ما يؤكد عليه الشيخ عبد الرحمن حبنكة – رحمه الله – بقوله:" وينبغي أن تستخدم في الدرس الطرق والوسائل التعليمية المناسبة، مما ترشد إليه أحدث وأحسن طرق التدريس ووسائله، "([1])

وإن الناظر إلى هديه صلى الله عليه وسلم في تعليمه للأمة يجده يستخدم الوسائل المعينة على تقريب المعاني وتوضيحها للسامع حتى يفهمها من أقرب طريق فمن ذلك استخدامه صلى الله عليه وسلم للإشارة المعبرة يجمع بينها وبين القول، وللرسم التوضيحي المقرب للمعاني، وللتكرار المؤكد لمضمون الكلام ، وللحوار والمساءلة والموازنات العقلية ...إلى غير ذلك من وسائل التفهيم وتوصيل المعاني ([2])

ومن هنا فإن نجاح الداعية المدرس مرتهن بالاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم الوسائل الممكنة والمتاحة في حينه ؛ فإن على الدعاة أن يعمدوا إلى أفضل وسائل الإيضاح والتفهيم التي جاد بها العصر ؛ مع مراعاة التجديد في استخدامها حتى لا يمل المدعوون من

---

١ – فقه الدعوة إلى الله، للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ٢/ ٣٨، نشر دار القلم، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢ – يراجع في ذلك، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

التكرار فإن النفوس جبلت على السآمة من التكرار لنفس الوسائل وهو الأمر الذي يلزم معه الإبداع والابتكار في توظيف وسائل التدريس المختلفة لنضمن ما أكد عليه الإمام السبكي من حسن الإلقاء والتفهيم .

المطلب الثاني: التأهيل العلمي المناسب للمدرس

إن الدرس كوسيلة من وسائل الدعوة ليس بالأمر السهل، لأنه مهمة جليلة في طريق الإصلاح والبناء والإعداد واستنقاذ المدعوين والارتقاء بالمجتمع ونشر العلم النافع، فالداعية هو وارث علوم النبوة ومسئول عمن يدرسهم من المدعوين ليأخذ بأيديهم إلى الحق، ولن يستطيع الداعية أن يؤدي دوره كمدرس دون تأهيل علمي يتناسب مع طبيعة تلك المهمة التي وكلت إليه.

ومن هنا يرى الإمام تاج الدين السبكي- رحمه الله- ضرورة التأهيل العلمي المناسب بأن يكون المدرس متفننا في أنواع العلوم وموسوعيا لا يقف على بعض العلوم ويترك البعض الآخر فيقول رحمه الله عند ذكره للمدارس التي أوقفها أصحابها واشترطوا في مدرسيها التفنن في العلوم : " ... فإن شرط في المدرس فنونا كما في مدارس كثيرة في ديار مصر ، وفي بلاد الشام وغيرها يقفها الواقف ، ويشترط في المدرس أن يعرف مثلا من العلوم كذا وكذا ، كالتفسير وكالحديث وغيرهما وما هذا شأنه رأيي فيه أن ينوع

المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها فإنها لولا إرادة ذكرها لما اشترطت فيه " (١)

وإنما كان هذا التنوع في العلوم مطلوبا وضروريا حتى يستطيع المدرس أن يدلي بدلوه في الإجابة على التساؤلات وحل المشكلات والرد على الاعتراضات ولهذا يقول الإمام السبكي عن تلك العلوم:" إنها اشترطت فيه ليكون أكمل في استعداده للأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه "(٢)

ويبدو ذلك التنوع الذي يشير إليه الإمام السبكي رحمه الله أمراً ملحا في واقعنا الدعوي المعاصر، وذلك لأن خارطة الدروس الدينية في مساجد الأوقاف (٣) تقتضي من الداعية أن تكون دروسه الأسبوعية في الأخلاق والسلوك والحقوق والواجبات والسيرة والسنة النبوية والفقه والأحكام، وذلك بدوره يتطلب تأهيلا علميا مناسبا يستطيع من خلاله الداعية أن يفي بمتطلبات الحديث

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٤، ٨٥

٢ – المرجع السابق.

٣ – يراجع نص قرار وزير الأوقاف الصادر بتاريخ السبت، ١٣ سبتمبر ٢٠١٤بشأن إعادة تنظيم عمل الإمام، وقد نصت المواد على تُقَسيَم موضوعات الدرس الديني بالمسجد كل أسبوع على النحو التالي: يوم الأحد في الأخلاق والسلوك والآداب والحقوق والواجبات وفقاً للخطة الشهرية والسنوية للوزارة، ويوم الثلاثاء فى السيرة والسنة، ويوم الخميس في الفقه. انظر بوابة وزارة الأوقاف على الرابطhttp://ar.awkafonline.com/?p=11077

مع المدعوين في تلك الفنون المختلفة وتقريبها لهم من خلال وسيلة الدرس.

هذا وإن الواقع الدعوى المعاصر خير شاهد على أن ضعف الإعداد والتأهيل العلمي يعد من أبرز أسباب ضعف الأداء الدعوي بصفة عامة وليس على مستوى أداء الدرس فحسب، فكم تصدى لتلك الدروس الدينية دعاة ليس لهم حظ من العلم والتأهيل والإعداد الجيد فكان ضررهم على الدعوة أبلغ وإساءتهم لها أشد، وصدق الله عز وجل: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

وإنما كان هذا التأهيل العلمي شرطا في الداعية لأن فاقد الشيء لا يعطيه، بل يفسد أكثر مما يصلح، وهو حينئذ يعد من أشد العقبات التي تؤثر سلبا على نجاح تلك المهمة المرتبطة بالدرس وبمهمات الدعوة الأخرى

وهذا بدوره يجعلنا أمام مسئولية عظيمة من أجل تغيير هذا الواقع، فلا مجال للتراخي أو التكاسل، لأن القيام بحق الدعوة يقتضي تضافر الجهود من أجل إصلاح هذا الخلل وإعادة تأهيل الدعاة بما يتناسب مع وظائف الدعوة المختلفة وعلى رأسها استخدام وسيلة الدرس.كما تبدو الحاجة ماسة للقيام بهذا الأمر لا سيما في ظل المستجدات والمعطيات التي يجب أن يتعامل معها الداعية في ظل الثورة المعرفية الهائلة في عالم وسائل التقنية

١ – سورة الزمر، جزء من الآية ٩

الحديثة والتواصل الاجتماعي، وفي سبيل إعداد الدعاة وتأهيلهم من أجل القيام بمهمات الدعوة المختلفة لابد مما يلي:

أولا: توجيه أنظار الدعاة إلى الله عز وجل إلى أن العلم مطلوب قبل العمل وأن الدعوة إلى الله عز وجل لا تقوم بدون العلم، فلابد من أن يُعْنَى الدعاة به ويحرصوا على طلبه حتى يكونوا أهلا لوراثة النبوة وتبليغ دين الله عز وجل.

ثانيا: ينبغي ان تتضافر جهود المؤسسات والهيئات الدعوية من أجل إعداد داعية كفء يمتلك زاداً علمياً يتناسب مع شرف مهمته، وقد أشار الدكتور أحمد غلوش إلى أهم معالم التكوين العلمي الذي لابد منه في سبيل إعداد داعية عالم فقال:" لا بد أن نهتم في الإعداد العلمي للداعية بما يلي:

" أ – بالدراسات القرآنية، ب – الدراسات المتصلة بالسنة، جـ – الدراسات الفقهية،

د – الدراسات المتعلقة بالعقيدة، هـ – الدراسات التاريخية، ز – الدراسات الفنية والمسلكية، وتشمل دراسة علم النفس التربوي وفن الدعوة والخطابة والخدمة الاجتماعية، وكافة الطرق الفنية التي تساعد في تبليغ الإسلام. حـ – دراسة الإعداد العام، وتشمل

دراسة قواعد اللغة العربية، ومبادئ علم البلاغة والأدب والجغرافيا وهكذا، ط – دراسة اللغات الأجنبية "(١).

ولا شك أنه من خلال تفعيل تلك الدراسات والمناهج العلمية في إعداد الداعية وتكوينه العلمي وجعله يتقنها ويهضمها يتحقق هذا التنوع والتفنن في العلم الذي أشار إليه الإمام السبكي رحمه الله وجعله مطلبا هاما لمن تصدر للتدريس فيستطيع الداعية من خلال هذا الإعداد أن يؤدي درسه وخطبته ومهمات دعوته كلها على بصيرة انطلاقا من قول الحق جل وعلا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)، وتلك البصيرة تعني المعرفة والتحقق(٣)

المطلب الثالث: مراعاة الفروق الفردية بين الدارسين

مما لا شك فيه أن حال المدعوين يختلف فكرا وثقافة واستيعابا وتحصيلا وفهما، فالداعية يتعامل مع عقليات مختلفة واستعدادات فكرية متباينة، الأمر الذي يستوجب أن يتعاطى مع كل فئة بما يناسبها من الدرس والشرح والتفهيم.

١- كيفية إعداد الداعية، د / أحمد غلوش، ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، ص : ٩٦ : ٩٨ ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧م .

٢ – سورة يوسف، آية رقم ١٠٨.

٣ – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٢٧/١.

ولقد أشار الإمام السبكي رحمه الله إلى ضرورة مراعاة ذلك حال الدرس فقال مبينا أصناف متلقي الدرس وما ينبغي أن يتعامل به المدرس مع كلٍ: " ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات "([1])

وبهذا يقسم الإمام السبكي رحمه الله متلقي الدرس إلى مبتدئين وهم العوام ويمثلون أكثر الجمهور، وإلى منتهين وهم أصحاب علم وفهم، وكلا الفريقين يحتاج إلى زاد فكري يتلاءم مع درجته، فعلى الداعية أن يراعي ذلك في درسه فيخاطب كل طائفة بما يتناسب معها، وهو أدرى بجمهوره وبيئته ويستطيع أن يتعامل معهم بناء على مستوى تفكيرهم وحظهم من العلم والفهم.

إن تلك الوصية من الإمام السبكي للمدرسين بمراعاة الفروق بين متلقي الدرس تمثل منهجا تربويا سديدا لا بد من اعتباره في عملية التعليم بصفة عامة حتى تؤتي ثمارها .

ولا شك أن مراعاة ذلك الأمر بتقديم الداعية مادة تتناسب مع درجة المدعو فهما وعلما إنما أسس لها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله في كتاب العلم تحت عنوان : باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، وذكر تحته حديث أنس رضي الله عنه:" أن النبي صلى الله عليه و سلم ومعاذ رديفه على الرحل قال (يا معاذ بن جبل) . قال لبيك يا

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٣.

رسول الله وسعديك قال (يا معاذ) . قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) . قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال (إذا يتكلوا) . وأخبر بها معاذ عند موته تأثما"([1])

وقد استنبط العلماء من الحديث " أنه يجب أن يخص بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة"([2])

وهكذا يقدم النبي صلى الله عليه وسلم درساً للدعاة في مخاطبة الناس وتعليمهم وهو أن الناس ليسوا سواء، وأن الداعية الموفق هو الذي يتوجه إلى الجميع فيعطي كل واحد منهم على قدر حاجته، متأسيا بالهدي النبوي حيث " كان صلى الله عليه وسلم شديد المراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يُخاطِبُ كلَّ واحدٍ بقدرِ فَهْمِه وبما يُلائِمُ منزلتَه، وكان يُحافِظ على قُلوبِ المبتدئين، فكان لا يُعلِّمُهم ما يُعلِّم المنتهين. وكان يجيب كلَّ سائلٍ عن سؤالِهِ بما يَهُمُّه ويُناسِبُ حالَه.([3])

وبهذا يتضح أنه لا بد من مراعاة تلك الفروق بين المدعوين حتى يؤتي الدرس ثماره ويحقق أهدافه، وعلى الداعية أن يعي أنه من الظلم

---

١ – الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في: كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ٥٩/١ برقم ١٢٨

٢ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣١٤/٢

٣ – الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم، وأساليبه في التعليم، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ص٦٦

معاملة جميع المدعوين على اعتبار أنهم لا فرق بينهم في قـــوى الإدراك والاستعداد العقلي فهما وحفظا وتذكرا.

وفي ضوء هذا الكلام نخلص إلى ما أرشد إليه الإمام السبكي رحمه الله من أن عناية الداعية في التعامل مع الفروق بين المدعوين ومعالجـــة ذلك في الدرس إعدادا وإلقاءً وتفهيما يمثل مدخلا رئيسا لنجاح الدرس.

المطلب الرابع: أمور يجب أن يتحرز عنها المدرس

في إطار حديثه عن عوامل نجاح الدرس وما يلزم أن يكون عليـــه حال المدرس يحذر الإمام السبكي – رحمه الله تعالى – من أمور ينبغـــي أن يتحرز عنها المدرس إذا أراد نجاحا في تلك المهمة التي وكلت إليـــه، وفيما يلي بيان تلك الأمور التي حذر منها الإمام السبكي:

أولاً: التحذير من فقد المسئولية وغياب الأمانة في إلقاء الدرس:

إن إلقاء الدرس على النحو الذي يرضي الله عـــز وجـــل ويحقـــق الأهداف المرجوة يقتضي من الداعية أن يكون على قدر تلك المســـئولية التي تحملها، فينبغي عليه إذا أدى الدرس أن يؤديه بإتقان فلا يقتصر على شيء يسير مما يحفظه ثم يقوم متهاونا دون شرح وتفهيم ويظن أنه بذلك قد أدى ما عليه، فهذا ما يحذر منه الإمام السبكي بل يرى صاحبه إن كان هذا حاله فإنه لا يصلح للتدريس وليس أهلا له، ولا يستحق مقابلا لهـــذا الدرس. وهذا نص كلامه رحمه الله حيث يقول:" ومن أقـــبح المنكـــرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب، ويجلس يلقيها ثم ينهض، فهـــذا إن كان لا يقدر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ولا يحق لـــه

تناول معلومه .... وإن كان يقدر على أكثر من ذلك لكنه يسهل ويتأول فهو أيضا قبيح "(١)

وبهذا يعلم أن إلقاء الدرس ليس مجرد كلام محفوظ يلقى على المدعو دون أن يعرف منه شيئا فإن ذلك مما لا يصح أن يصدر عن داعية عالم يدرك أن مقام الدرس مقام تعليم وشرح وبيان وتوضيح.

ثانيا: التحذير من فتح الباب لغير المتخصصين للتصدر للتدريس:

يحذر الإمام السبكي رحمه الله من أن العلماء حين لا يوفون الدرس حقه ويتساهلون في أدائه فإنهم بذلك يعطون الفرصة لغيرهم ممن ليسوا أهلا للعلم فيتصدرون ويجترئون على العلم ويأخذون مكان العلماء والسبب في ذلك هم العلماء ممن لم يصونوا العلم ويعطونه حقه من الشرح والتوضيح والبيان.

وحول ذلك الأمر يقول الإمام السبكي :" ولو أن أهل العلم صانوه وأعطى المدرس منهم التدريس حقه : فجلس ، وأعطى جملة صالحة من العلم ، وتكلم عليها كلام محقق عارف، وسأل وسُئِلَ ، واعترض وأجاب، وأطال وأطاب، بحيث إذا حضره أحد العوام أو المبتدئين أو المتوسطين فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنه لا يكون مدرس إلا هكذا والشرع كذلك لم تطمح نفسه في هذه المرتبة ، ولم تطمع العوام بأخذ وظائف العلماء ، فإذا رأينا العلماء يتوسعون في الدروس ، ولا يعطونها حقها ويبطلون كثيرا من أيام العمالة ، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق ولا تفهيم ثم

١ - معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٣، ٨٤

رأيناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح على التدريس ، ويعيبون الزمان وأولياء الأمور ، فالرأي أن يقال لهم : أنتم السبب في ذلك ؛ بما صنعتم ؛ فالجناية منكم عليكم "[1]

وهذا الكلام وإن كان الإمام السبكي ينعى فيه على علماء عصره؛ فإنه لا شك يشخص الواقع الدعوي المعاصر عندما ترك البعض من الدعاة القيام بواجبهم على الوجه الذي يرضي الله تعالى فتصدر غير المتخصصين، واقتحموا ميدان الدعوة ومارسوا وظائفها فدرسوا وخطبوا وأفتوا الناس فترتب على ذلك ضلال وإضلال وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:" ... حتى إذا لم يجد الناس عالمًا اتخذوا رُءُوسًا جُهَّالا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا "[2]

ومن هنا إذا أردنا معالجة هذا الواقع وضبط الخطاب الدعوي فينبغي أن يأخذ العلماء كلام الإمام السبكي رحمه الله بعين الاعتبار من خلال صيانة أهل العلم لعلمهم وقيامهم بحقه ووفائهم بتلك الأمانة التي تحملوها، فإذا كانوا كذلك حقا فلن يطمع طامع في أن يأخذ وظيفتهم أو يقوم بدورهم ولمّا يكون أهلا لذلك.

---

١ – السابق، ص ٨٤

٢ – الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في : كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ١/٥٠ برقم١٠٠

المبحث الثاني: وسيلة الخطبة وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم:

المطلب الأول: العناية بألفاظ الخطبة

المطلب الثاني: العناية بالصوت قوة وتعبيرا

المطلب الثالث: ترك الالتفات حال الخطبة

المطلب الرابع: مراعاة حال المخاطبين بترك الإطالة في الخطبة

المطلب الخامس: ترك تكلف السجع:

المطلب السادس: أن يكون الخطيب قدوة لجمهوره

المطلب السابع: عناية الخطيب بالتأثير في جمهوره

المبحث الثاني

وسيلة الخطبة وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

الخطبة وسيلة من أهم وسائل الدعوة القولية التي يتوصل بها الداعية إلى تبليغ مادة الدعوة إلى الجماهير على اختلاف مستوياتها بهدف إقناع العقول واستمالة النفوس والتأثير فيها.

ولقد كانت الخطابة عبر التاريخ البشري ولا تزال عدة للدعاة الصادقين يحثون الناس بها على الفضائل ويرشدونهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، كما كانت الخطابة ولا تزال سلاحا ماضيا للمصلحين والقادة والزعماء والساسة يحققون بها أهدافهم ويستندون إليها في إقناع الجماهير واستمالتهم.

وإذا كان هذا الكلام عن الخطابة بصفة عامة فإن الخطابة تمثل لدعوة الإسلام خاصة محورا رئيساً وداعماً لمسيرتها وانتشارها وتثبيت أركانها في نفوس المدعوين وعقولهم، فينطلق الدعاة من خلالها يأخذون بأيدي الناس إلى المثل الأعلى حثاً على الفضائل وغرساً لها في النفوس، وتحذيرا من التردي في ظلمات الجهالات، واستنقاذا لتلك النفوس من الضلالات والأوهام؛ فضلا عما تؤديه الخطابة من وظائف جليلة وأدوار عظيمة للدعوة الإسلامية كونها صوت الحق والعدل ولسان الهداية

ولما كان للخطابة هذا الدور الفعال في الدعوة إلى الله تعالى؛ فقد وجدت عناية فائقة من العلماء في القديم والحديث في محاولة للتأصيل لها كعلم وفن له قواعده التي ترسم للخطيب طرق نجاحه، وتحقيق أهدافه من الخطبة.

وممن عنى بذلك من علماء الإسلام الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى، والذي تناول وسيلة الخطبة مبينا ما ينبغي على الخطيب أن يراعيه حتى تؤتي خطبته ثمارها، وهذا ما أتناوله بالبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: العناية بألفاظ الخطبة

إن مما يعين على نجاح الخطبة أن يُعْنَى الخطيب بألفاظها؛ والتي ينبغي أن ينتقيها انتقاءً بحيث يتحقق فيها السهولة والرقة وتتسم بالوضوح والبيان فتغدو مفهومة لدى السامع الذي يدرك معانيها ويتوصل إلى مقاصدها دون كلفة منه أو عناء.

وهذا ما ينادي به الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله محذرا الخطيب من الإغراق في الألفاظ الوحشية الصعبة قائلاً: " ولا يأتي بألفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصة بل يذكر الواضح من الألفاظ " (١)

ولا شك أن تلك الوصية من الإمام السبكي رحمه الله جديرة أن يُعْنَى بها الخطيب إن أراد دوام الصلة بينه وبين المخاطب، لأن الإغراب في الكلام والإتيان بألفاظ قلقة – على حد تعبير الإمام السبكي – من شأنه أن يقطع الاتصال بين الخطيب وجمهوره الذي يشق عليه فهم تلك الألفاظ فيجنح إلى التفكير في معانيها، ويطلب فهم مراميها، فيشرد عن الخطيب ومن ثم تنقطع الصلة بينهما فتضيع فائدة الخطبة.

وإن الناظر إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم في خطبه بل في سائر كلامه وتوجيهاته يجد سمة الوضوح واليسر والرقة والسهولة لا تفارق ألفاظه الشريفة – صلى الله عليه وسلم – تلك الألفاظ التي تنزهت عن الوعورة والصعوبة والتكلف فخرجت في يسر تنساب إلى الأذهان والقلوب.

---

١ - معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩

" لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخير أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، ويضع كل لفظ في موضعه الذي هو أحق به "(١)

ولا شك أن تلك العناية منه صلى الله عليه وسلم بحسن اختيار الألفاظ وانتقائها وترتيبها وصياغتها كان له أكبر الأثر في الوصول إلى قلوب المدعوين وعقولهم وإقناعهم واستمالتهم إلى ما يدعوهم إليه.

ومن هنا ندرك لماذا حذر الإمام السبكي من مخالفة هذا الهدي النبوي في الخطبة؟ وكيف أن الألفاظ الوعرة الغريبة لها أثر سيئ في ضياع الفائدة من الكلام والإخفاق في الخطاب؟

ولا يعني مطلب الإمام السبكي اختيار الألفاظ السهلة وتجنب الألفاظ الصعبة التأثير على قوة المعاني والعبارات، وذلك لأن براعة معاني الخطيب في سهولتها ووضوحها وليست في تكلفها وغموضها، وما يترتب عليه من إدخال المشقة على السامعين، ولهذا يقول الجاحظ " فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المعقد، مغرقا في الإكثار من التكلف، فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع "(٢)

---

١ – الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد ثابت، ص ٢٤، نشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ١٤١٧هـ

٢ – رسائل الجاحظ، رسالة إلى التجار، ص ١٥٩، نشر المطبعة السلفية.

ونخلص من هذا الكلام إلى ضرورة أن يسلك الخطيب في ألفاظه مسلكا سهلا واضحا لا تكلف فيه ولا غموض حتى يحقق مقصوده من الإقناع والاستمالة ويصل إليهما من أقرب طريق.

المطلب الثاني: العناية بالصوت قوة وتعبيرا:

إن الصوت القوي والمعبر للخطيب هو عنوان إجادته، وطريق إفادته؛ من خلاله يفصح عن ألفاظه ويكشف عن معانيه، ويجلي أغراضه، ويحقق أهدافه من التأثير والإقناع.

ومن هنا نجد الإمام السبكي يؤكد على قضية الصوت لخطيب الجمعة فيقول:" على الخطيب أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة "(١)

وعلى هذا ينبغي أن يكون صوت الخطيب من القوة بحيث يسمعه الجمهور المنصت المتهيئ للسماع، وليس المقصود مجرد رفع الصوت بالكلام فقط بل لا بد مع رفع الصوت من تصوير المعاني ونقلها إلى المخاطب ليكون الصوت المعبر معينا للخطيب ومؤازرا له في إيضاح المعاني ورسوخها في نفس السامع.

إن الإمام السبكي يؤكد في هذا المقام على رفع الصوت بالنسبة لخطيب الجمعة؛ وهو بذلك يشير إلى شرط من الشروط التي اتفق الفقهاء على ضرورة توفرها في الخطيب بحيث يسمعه العدد المعين من الناس،

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٨، واختيار الإمام تاج الدين السبكي للعدد أربعين هو معتمد مذهب الشافعية في العدد الذي تنعقد به الجمعة. انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ، ١٧٩/١٩

وإن كانوا اختلفوا في هذا العدد المعين (١) إلا أنه في كل الأحوال ينبغي أن يرفع صوته بالكلام وأن يكون صوته معبرا عن المعاني المختلفة التي يتكلم فيها.

وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة كما في حديث جابر– رضي الله عنه– قال:" "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه؛ حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم مسَّاكم... "(٢)

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعْنَى بالصوت في الخطبة فيفخمه ويرفعه ويكيفه مع مضمون الكلام بحيث يأتي معبرا عنه مؤديا دوره في زيادة التأثير في المخاطب ولهذا استنبط العلماء من فوائد هذا الحديث أنه " يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة، ويرفع صوته، ويجزل كلامه، ويكون مطابقًا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب وترهيب"(٣)

ولا شك أن الصوت القوي المعبر للخطيب يحمل من دلالات التأثير والإقناع ما لا تستطيع الألفاظ وحدها أن تفعله ، فإذا اجتمعت دلالة اللفظ مع دلالة الصوت القوي المعبر أحدث ذلك وقعا في نفس الجمهور واستيلاء على كوامن التأثير فيها، ولهذا يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله:"

---

١ – يراجع الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٧٩/١٩

٢ – أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ،٥٩٢/٢، برقم٨٦٧

٣ – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٦/٦، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.

يجب على الخطيب أن يروض نفسه على تصوير المعاني وأن يجعل من نغمات صوته وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالة الألفاظ ...وليعلم أنه لا شيء كالصوت يعطي الألفاظ قوة حياة، "([1])

وحتى يستطيع الخطيب أن يروض صوته ليكون معينا له في تصوير المعاني والوصول إلى هدفه من الخطبة فعليه " أن يجعل صوته مناسبا لسعة المكان وعدد السامعين فلا ينخفض حتى يصير في آذانهم همسا، ولا يعلو حتى يكون صياحا، بل يكون بين هذا وذاك .....، كما أن عليه ألا يجعل صوته نمطيا يكون على وتيرة واحدة ...فإن ذلك يلقي في نفس السامع سآمة وملالا ووراءهما النفور والانصراف "([2])

وفي ضوء هذا الكلام نخلص إلى أهمية الصوت للخطيب وأنه أحد عوامل نجاحه إذا عُنِيَ به ، وإذا كان الإمام السبكي يتحدث عن الصوت ورفعه ؛ فإنه يلزم بالضرورة مع رفع الصوت أن يكيف الخطيب هذا الصوت ليكون معبراً ومعاوناً للألفاظ في الدلالة على المعاني المختلفة من الفرح والحزن والأسى والألم والتعجب والحسرة والخوف ....إلى غير ذلك من المعاني، وعلى النقيض من ذلك إذا لم يحفل الخطيب بصوته وترويضه ليكون مطيعا له في الدلالة على المعاني المختلفة فإنه بذلك يفقد عاملا مهما من عوامل التأثير والإقناع .

---

١ – الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص ١٤٨، ١٤٩

٢ – المرجع السابق

المطلب الثالث: ترك الالتفات حال الخطبة

إذا كان صوت الخطيب أحد أدوات نجاحه كونه متعلقا بالتأثير السمعي في المخاطبين، فكذلك وقفته تجاه الجمهور والتي ينبغي أن تكون معتدلة وفيها من الإقبال على المخاطبين ما يضفي عليه هيبة ووقاراً ويضمن من خلالها الخطيب تأثيرا بصريا فيمن يخاطبهم، ولذلك ذكر الإمام تاج الدين السبكي أن من الأمور التي ينبغي أن يتحرز عنها الخطيب الالتفات في الخطبة فيقول رحمه الله:" وأما الالتفات في الخطبة فمكروه "([1])

وبهذا يشير الإمام إلى حكم من الأحكام المتعلقة بخطيب الجمعة والذي عليه أن يستقبل جمهور السامعين بوجهه دونما التفات منه حال الخطبة، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته؛ ولذلك يقول الإمام الماوردي ([2]) – رحمه الله– :" مِنْ سُنَّةِ الْخَطِيبِ أَنْ يَسْتَدْبِرَ بِهَا الْقِبْلَةَ ، وَيَسْتَقْبِلَ بِهَا النَّاسَ خطبة الجمعة : لِرِوَايَةِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : { كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا خَطَبَ يَسْتَقْبِلُنَا بِوَجْهِهِ وَنَسْتَقْبِلُهُ

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٨

٢ – هو الإمام الكبير قاضي القضاة علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، ولد بالبصرة ٣٦٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٠هـ، من مصنفاته أدب الدنيا والدين " و " الاحكام السلطانية –" والنكت والعيون "في تفسير القرآن، و " الحاوي " في فقه الشافعية، انظر الأعلام للزركلي ٣٢٧/٤.

بِوُجُوهِنَا}(١) : وَلِأَنَّهُ يَعِظُهُمْ بِخُطْبَتِهِ ، وَيُوصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّـهِ سُـبْحَانَهُ ، وَمُرَاقِبَتِهِ ، وَكَانَ إِقْبَالُهُ عَلَيْهِمْ أَبْلَغَ فِي الِانْتِفَاعِ بِهَا وَاسْتِقْبَالُهُمْ بِوَجْهِهِ أَبْلَـغَ فِي الِاسْتِمَاعِ لَهَا ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ بِوَجْهِهِ قَصْدَ وَجْهِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ أَئِمَّةُ هَذَا الْوَقْتِ ، مِنَ الِالْتِفَاتِ يَمِينًا وَشِمَالًا فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، لِيَكُونَ مُتَّبِعًا لِلسُّنَّةِ ، آخِـذًا بِحُسْنِ الْأَدَبِ ، لِأَنَّ فِي إِعْرَاضِهِ عَمَّنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَقَصَدَ بِوَجْهِهِ إِلَيْهِ ، قُبْحَ عِشْرَةٍ ، وَسُوءَ أَدَبٍ ، وَلِأَنَّهُ إِذَا أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ قَصْدَ وَجْهِهِ عَمَّ الْحَاضِـرِينَ سَمَاعُهُ ، وَإِذَا الْتَفَتَ يَمِينًا قَصَّرَ عَنْ سَمَاعِ يُسْرَتِهِ ، وَإِذَا الْتَفَتَ شِمَالًا قَصَّرَ عَنْ سَمَاعِ يُمْنَتِهِ "(٢)

ومن خلال هذا الكلام تتضح معالم الحكمة في اسـتقبال المخـاطبين وترك الالتفات حال الخطبة أو ما يمكن التعبير عنـه بالوقفـة المعتدلـة المناسبة، ولعل أبرز تلك المعالم ما يلي:

١- أن استقبال جمهور المخاطبين مع ترك الالتفات في الخطبة هـو هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – كما أخبر عنـه أصـحابه رضي الله عنهم.

٢- أن ترك الخطيب للالتفات وقصده الناس بوجهه أبلغ في سـماع الجميع وأعدل بينهم

---

١ – أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب الغسل للجمعة والخطبـة وما يجب في صلاة الجمعة، باب يحول الناس وجوههم إلى الإمام ويسمعون الـذكر، ١٩٨/٣، برقم ٥٥٠٢، نشر مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م

٢ – الحاوي الكبير، ٤٤١/٢، نشر دار الفكر، بيروت

٣- أن الالتفات إلى أحد الجانبين قد يكون فيه من سوء الأدب حين يعرض الخطيب عمن يقبل عليه، فيذهب تأثير الخطيب وتضيع فائدة كلامه.

المطلب الرابع: مراعاة حال المخاطبين بترك الإطالة في الخطبة

في توجيهاته للخطيب حتى يكون مؤثرا في جمهوره يوصي الإمام تاج الدين السبكي بمراعاة حال المخاطبين فلا يشق عليهم بطول الخطبة وفيهم أصحاب أعذار يشق عليهم طول الخطبة، وحول ذلك الأمر يقول الإمام: " ولا يطيل الخطبة فإن وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة "(١)

ولا شك أن في هذا الكلام من الإمام السبكي استلهام للهدي النبوي المبارك في هذا الشأن حيث عدَّ النبيُ صلى الله عليه وسلم الإقصار في الخطبة دلالة على فقه الخطيب، وأمارة على حسن بصيرته؛ فقال كما في صحيح مسلم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا "(٢)

ومن ذلك نقف على الهدي القويم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه يراعي جمهور خطبته من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم؛ فيقتصد في موعظته ولا يطيل حتى لا يشق على أحد منهم، ولهذا يقول الإمام ابن

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٨، ٨٩.

٢ – أخرجه مسلم في صحيحه في : كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٤/٢، برقم ٨٦٩.

عبد البر– رحمه الله–:" وأما قصر الخطبة فسنة مسنونة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك ويفعله ...وكان يخطب بكلمات طيبات قليلات ... وأهل العلم يكرهون من المواعظ ما ينسي بعضه بعضا لطوله ويستحبون من ذلك ما وقف عليه السامع الموعوظ فاعتبره بعد حفظه له وذلك لا يكون إلا مع القلة "([1])

وبهذا تظهر الحكمة من القصد في الخطبة، وترك الإطالة لما فيها من ذهاب فائدة الخطبة، فضلا عما تحدثه الإطالة من مشقة تنفر السامع وتصيبه بالسآمة والملل. وعلى النقيض من ذلك حتى يضمن الخطيب أن يستفيد السامع من الخطبة لا بد أن يحرص على نشاطه وحضور ذهنه وإقباله وذلك لا يتوفر إلا باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة قصدا واعتدالا.

وفي ضوء هذا الكلام تتضح أهمية وصية الإمام السبكي للخطيب أن يقتصد في خطبته ويترك الإطالة مراعاة لأحوال المخاطبين وتيسيرا عليهم؛ فالعبرة ليست بطول الكلام الذي ينسي بعضه بعضا، وإنما العبرة بما فهمه السامع ولو كان قليلا فتأثر به ووعاه فقاده إلى العمل الصالح.

---

١ – الاستذكار، ٣٦٣/٢، ٣٦٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

المطلب الخامس: ترك تكلف السجع

في معرض توجيهاته التي تضمن للخطيب حسن توجيه الكلام والإقناع والتأثير بالخطاب يحذر الإمام تاج الدين السبكي الخطيبَ من تكلف السجع فيقول:" ولا يتكلف السجع " (١)

والنهي عن تكلف السجع في الكلام مستفاد من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كره هذا اللون من الكلام كونه يشبه كلام الكهان؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قَالَ : اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– " إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ" مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِى سَجَعَ"(٢)

فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الكلام من الرجل لأنه تشبه بالكهان في كلامه وتكلف السجع على طريقتهم، فضلا عن معارضة الرجل بهذا الكلام لحكم الشارع ، ولهذا يقول الإمام النووي :" قال العلماء

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص٨٨

٢ – أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الكهانة، ٢١٧٢/٥، برقم ٥٤٢٦، ومسلم واللفظ له في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، ١٣٠٧/٣، برقم ١٦٨١.

إنما ذم سجعه لوجهين أحدهما أنه عارض به حكم الشرع ورام ابطاله والثاني أنه تكلفه في مخاطبته وهذان الوجهان من السجع مذمومان وأما السجع الذي كان النبي صلى الله عليه و سلم يقوله في بعض الأوقات وهو مشهور في الحديث فليس من هذا لأنه لا يعارض به حكم الشرع ولا يتكلفه فلا نهى فيه بل هو حسن "(١)

وفي ضوء هذا الكلام يتضح أن ما ورد في الحديث الشريف من ذم السجع فإنه يرجع إلى ما كان منه متكلفا وقصد به صاحبه الرياء والظهور والتفاصح والتشدق وهو يمثل حينئذ آفة من آفات الكلام، التي ينبغي أن يتحرز عنها المتكلم.

ولا شك أن أولى الناس بالتحرز عن تلك الآفة المذمومة في الكلام الخطيب؛ فهو ليس بحاجة إلى شيء من ذلك فيكفيه كما تقدم الألفاظ السهلة الرقيقة التي تحرك القلوب ، ولذلك يقول الإمام الغزالي رحمه الله وهو يتحدث عن آفات اللسان : "ويدخل فيه كل سجع متكلف ... وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات ... بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة "(٢)

وبهذا الكلام تتضح علة النهي عن تكلف السجع في الخطبة وأنه آفة ينبغي أن يحذر منه الخطيب حتى لا يتعرض للذم، لا سيما إذا كان الباعث عليه طلب الرياء والتفاصح المذمومان شرعا.

---

١ – شرح النووي على مسلم، ١٧٨/١١

٢ – إحياء علوم الدين، ١٢١/٣، نشر دار المعرفة، بيروت.

المطلب السادس: أن يكون الخطيب قدوة لجمهوره

إن الخطيب داعية بحاله كما هو داعية بلسانه ومقاله؛ فينبغي أن يكون صالحا في نفسه، قدوة لجمهوره يقدم لهم المثال الحسن والأسوة الطيبة فيؤثر بفعله كما يؤثر بقوله وإرشاده، ولا يخالف بين قوله وفعله؛ بل يكون مخلصاً صادق اللهجة إن أراد أن ينفع الله به.

وهذا ما يشير إليه الإمام تاج الدين السبكي في توجيهه للخطيب فيقول: " وأهم ما ينبغي للخطيب أن يتلو على نفسه قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) ويتذكر قول الشاعر: لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٢)"(٣)

ولا شك أن هذا التوجيه من الإمام السبكي للخطيب حري أن يكون حاضرا في ذهنه لا يغفل عنه أبدا، فإن لعمل الخطيب بين الناس تأثيراً لا يقل عن تأثير قوله فيهم، فإذا خالف بين القول والعمل كان ضره أقرب من نفعه؛ لأنه في موطن القدوة والناس يرقبونه بأبصارهم فإذا زل زل به خلق كثيرون.

ولذلك يقول الإمام الغزالي رحمه الله :" إن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع

---

١ – سورة البقرة، آية رقم ٤٤

٢ – البيت لأبي الأسود الدؤلي، انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي ،٥٦٩/٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م.

٣ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٩٨

الرشد؛ وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه... ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به "(١)

ومن هنا تتضح جناية الخطيب عندما لا يكون إماما يهتدي الناس به، ويقتدون بفعاله؛ فيكون سببا من أسباب ضلالهم وغيهم بدلا من أن يكون سببا لهدايتهم وقربهم من الله، ولأجل هذا جاء القرآن الكريم بالنكير والوعيد الشديد لمن كان هذا حاله في مثل قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (٢)

وحتى لا يدخل الخطيب الداعية في هذا الوعيد عليه وهو ينشد إرشاد الناس واستقامتهم أن ينشد ابتداءً إرشاد نفسه واستقامتها، ولا يغيب عنه أن موطن القدوة يقتضي منه أن يكون صالحا في نفسه حتى يستطيع أن يصلح غيره، وهذا ما يعبر عنه الإمام الغزالي بقوله: "هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره"(٣)

١ – إحياء علوم الدين، ٥٨/١

٢ – سورة الصف، آية رقم ٣

٣ – إحياء علوم الدين ٣١٢/٢

وهذا بعينه ما يلخصه الإمام السبكي – مبيناً أهمية القدوة للخطيب– في كلمات موجزة فيقول:" فكل خطيب وواعظ لا يكون عليه سيما الصلاح قل أن ينفع الله به "(١)

المطلب السابع: عناية الخطيب بالتأثير في جمهوره:

يقدم الإمام السبكي رحمه الله قاعدة من أهم قواعد التأثير الخطابي، والتي تتلخص في أن الخطيب حتى يؤثر في جمهوره لا بد أن يتأثر هو أولا بحيث يملأ عليه الكلام فكره وقلبه فتخرج الكلمات منه تصاحبها حرارة العاطفة مع صدق الاعتقاد فتصل إلى الجمهور من أقرب طريق، وهذا ما يرشد الإمامُ السبكيُّ الخطيبَ إليه بقوله:" واعلم أن الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب "(٢)

وهكذا ينبغي أن يعلم الخطيب أن جزءا هاما من التأثير في الجماهير واستمالتهم مبناه على حرارة العاطفة والاعتقاد بصحة ما يقول فإذا تحقق ذلك للخطيب لا مس كلامه شغاف القلوب من الجماهير؛ أما إذا خلا كلام الخطيب من حرارة العاطفة وصدق العبارة والثقة والحماسة فيما يقول فإنه حينئذ أبعد عن التأثير في جماهيره واستمالتهم إلى خطابه، ولهذا يقول الدكتور الحوفي: "مُحقَّقٌ إخفاق الخطيب إن تكلم بدون حماسة تتضح في ألفاظه ومعانيه، وتتجلى في وقفته وإشارته، لأنه بذلك لا يستميل ولا يسيطر على جمهوره "(٣)

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩

٢ – المرجع السابق .

٣ – فن الخطابة ، ص ٢٠

وفي ضوء هذا الكلام يتضح أن الخطبة ليست مجرد كلمات تلقى على مسامع الجماهير دون أن يكون لها أثر في نفوسهم، وإنما أساس الخطبة استمالة الجماهير وذلك لا يتم دون تحريك المشاعر وإثارة الميول والأهواء، وحتى يصل الخطيب لتحقيق ذلك لا بد وأن يتأثر أولا فيخرج كلامه من القلب ليصل إلى قلوب جماهيره.

"فالخطيب ذو العاطفة العالية، والحماسة الشديدة، هو الذي ينحدر من فيه الشعور ألفاظا، والعواطف عبارات وأساليب، تلهب الحس وتوقظ النفس وتثير الحمية وتحفز الهمة "(١)

١ – الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص ٥٧

المبحث الثالث: وسيلة القصة من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم:

المطلب الأول: العناية بقصص القرآن والسنة وأخبار الصالحين.

المطلب الثاني: ارتباط القصص بالوعظ والإرشاد.

المطلب الثالث: مراعاة أحوال المدعوين الفكرية حال استخدام القصص.

المبحث الثالث:

وسيلة القصة من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

القصة وسيلة من وسائل الدعوة القولية التي لها أثر عظيم في التربية والتوجيه والإرشاد، وهي تمثل فنا من فنون القول يتوجه من خلاله الداعية إلى المدعو بطريق غير مباشر ليأخذ بيديه إلى ما فيه الخير والهدى من خلال أحداث القصة وأشخاصها ووقائعها ونهايتها ومواطن العظة والاعتبار فيها، ولا عجب أن قص الله في القرآن أحسن القصص، كما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستخدم تلك الوسيلة في الدعوة فقال: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (١)

"ونظراً لهذا الدور الخطير للقصة جعلها القرآن الكريم أحد وسائله في نشر الدعوة الإسلامية، يبين بها الدعوة ويشرح أسسها وأهدافها، ويضع في ثنايا عناصرها ما يجعلها هادفة ومؤثرة، ومن هنا وجدنا القصة تظهر مبكرة في الظهور مع بداية الدعوة في مكة لتقوم بدورها في نشر الدين وإبلاغه" (٢)

وقد توسع الدعاة في استخدام تلك الوسيلة لأهميتها ودورها الوعظي والتربوي للنفوس والتي تتشوق بدورها لهذا اللون البياني من الكلام " فالنفوس مفطورة على حب معرفة الأحداث وكيف وقعت والنهايات

١ – سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٧٦

٢ – الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/أحمد غلوش، ص ٢٨٧

والنتائج لتأخذ منها العبر والعظات فتعمل بمثل ما جر نفعا وتجتنب فعل كل ما جر ضرا من أحداث القصة "(١)

وإذا كانت القصة وسيلة من وسائل الدعوة، فلا بد لتلك الوسيلة من ضوابط حتى تؤدي دورها في إيصال مادة الدعوة إلى المدعوين؛ وممن عنى ببيان بتلك الضوابط الإمام تاج الدين السبكي، والذي كان القصص في زمانه وظيفة يشتغل بها بعض الناس ممن يجلسون في الطرقات يقصون الأخبار على الناس، فبين الإمام السبكي رحمه الله بعض الضوابط التي ينبغي مراعاتها حال استخدام القصص كوسيلة من وسائل الدعوة، وهذا ما أتناوله من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: العناية بقصص القرآن والسنة وأخبار الصالحين:

أولى القرآن الكريم والسنة المطهرة القصة عناية فائقة لدورها غير المباشر في النصح والتذكير والتوجيه، ومن هنا يذكر الإمام السبكي ارتباط وظيفة القاص بالقرآن والسنة وأخبار السلف فيقول " والقاص هو من يجلس في الطرقات يذكر شيئا من الآيات والأحاديث وأخبار السلف"(٢)

فلا بد من العناية بالقصص القرآني والقصص النبوي وأخبار الصالحين، بأن تكون في أولويات استخدام تلك الوسيلة في العمل الدعوي، " ولا يخفى ما يحويه هذا الكتاب المجيد من قصص رائعة رائدة، تشتمل على توجيهات غير مباشرة، إيمانية، وفكرية وأخلاقية، وعملية، وعظات

---

١ – فقه الدعوة إلى الله، ١/٤٧١، ٤٧٢.

٢ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩

نافعات، جليلات الخطر، عظيمات الأثر، كما أن مطالع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيها قصصا بديعة ذوات توجيه لقضايا الإيمان والإخلاص والحب في الله والبغض في الله والعمل الصالح ابتغاء مرضات الله وجنات النعيم "(١)

إن القصص القرآني والقصص النبوي الصحيح هو أشرف القصص وأزكاه وفيه من الفوائد والفرائد التي يمكن أن يجتنيها الدعاة ما يجل عن الحصر، فهو زاد للدعاة يثبتهم في طريق الدعوة، ويستشهدون من خلاله على المعاني المختلفة التي يتطرقون إليها، ويعرفون من خلاله كوامن النفوس وطبائعها، فضلا عن وظائفه التربوية ودروسه وعظاته.

ولهذا يقول الدكتور أحمد غلوش مبينا ما يمكن أن يستفيده الدعاة من القصة القرآنية :" على الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة أن يستعينوا بكل ما في القرآن من دروس وعبر ، وفي القصص القرآني العديد من هذه الدروس، إذ تصلح القصة بذاتها درساً إلهيا يتجه به الداعية مباشرة إلى الناس ، وتصلح القصة بأجزائها للاستشهاد على المعنى الذي يريده الداعية من المدعوين ، على أن أبلغ الفائدة تكون في معرفة حقيقة الإنسان وصفاته الإنسانية من خلال القصص؛ لأن هذه المعرفة تمكن الدعاة من وضع مخططهم وفق حال الناس، والدعوة بالمنهج الحسن الجميل، وعدم التصادم المباشر مع المعاندين الجاحدين . ولعل ما في القصص من دروس تربوية يجعل الدعاة يهتمون بالرونق الجميل والمظهر الطيب. مع تخير الموضوع القصير وتكراره بأوجه

١ – فقه الدعوة إلى الله، ٤٧٣/٢، ٤٧٣،

مختلفة وإبراز العواقب الوخيمة والنتائج الطيبة ترغيبا وترهيبا للمدعوين"([1])

وفي ضوء هذا الكلام يجب أن تكون وسيلة القصة في الدعوة إلى الله تعالى محل عناية الدعاة واهتمامهم؛ لا سيما قصص القرآن والسنة لما فيها من الفوائد الجليلة والثمرات الطيبة التي تعود على الدعوة.

المطلب الثاني: ارتباط القصص بالوعظ والإرشاد

ليس الغرض من القصة مجرد التسلية والترفيه أو إضاعة الوقت وملء الفراغ؛ وإنما القصة كوسيلة من الوسائل القولية التي تحمل مادة الدعوة إلى المدعو لا بد وأن ترتبط بالدعوة وأغراضها وعظا ونصحا وتذكيرا وهذا ما يرشد إليه الإمام تاج الدين السبكي حال استخدام القصة أن يعمد الداعية إلى القصص الواضحة المفهومة لدى العامة والتي تخدم غرضه من الوعظ والتعليم، فيقول:" وينبغي له ألا يذكر إلا ما يفهمه العامة ويشتركون فيه من الترغيب في الصلاة والصوم وإخراج الزكاة والصدقة ونحو ذلك"([2])

وبهذا يتضح التلازم بين القصص وبين الدعوة الإسلامية؛ فالقصص خادم لها ومعرف بها ومرشد إليها، ولهذا يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي موضحا هذا التلازم بين الفن القصصي والدعوة:" إن القاص لا يسمى قاصا عند المسلمين إلا إذا كان يقص للتعليم والوعظ وللتذكير بالآخرة والتزهيد في الدنيا، وحفظ الروح والخلق ونحوهما. وإن أساس

---

١ – الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/أحمد غلوش، ص٣٢٨

٢ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩

هذا الفن كان تحريض المؤمنين والترغيب فيما عند الله وإيثاره على الحياة فكان مرجع القاص في قصصه إلى التفسير والحديث والحكمة وما تناوله من أخبار الماضين وما لا حرج عليه في وضعه مما يراد به غرض من تلك الأغراض "(١)

ومن خلال هذا الكلام تتضح وظيفة القصة وغايتها التي تهدف إليها في ظل الدعوة الإسلامية والتي بدورها هذبت القصص واتجهت به إلى غايات سامية، فبعد أن كان القصص لمجرد رواية الحكايات والأساطير والتوسع فيها " نحا الإسلام بالقصص نحو الوعظ والتعليم فصارت له وظيفة اجتماعية غير وظيفته القديمة، ومن ثم تحدد دور القاص الجديد؛ فهذا القاص واعظ أولا، ثم راو للحكايات ثانياً، ولكنه يروي للناس هذه الحكايات بعد أن يسلكها في نسيج مواعظه"(٢)

ونخلص من هذا إلى أن القصص كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام ينبغي أن يرتبط بالدعوة الإسلامية معرفا بتعاليمها ومحققا لأهدافها التربوية والوعظية وإلا فقد أهميته ودوره.

---

١ – تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد، ص ٢٠٢، نشر دار القلم، بيروت

٢ – انظر: المكونات الأولى للثقافة العربية، لعز الدين اسماعيل، ص١٣٢، نشر وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٢م

المطلب الثالث: مراعاة أحوال المدعوين الفكرية حال استخدام القصص

من ضوابط استخدام القصص في الدعوة أن يراعي الداعية الأحوال الفكرية للمدعوين بأن ينأى عن كل ما من شأنه أن يحدث فتنة لدى العوام، ولهذا يقول الإمام السبكي رحمه الله:" ولا يذكر عليهم شيئا من أصول الدين وفنون العقائد وأحاديث الصفات فإن ذلك يجرهم إلى ما لا ينبغي "([1])

وهكذا حتى لا يكون الداعية سببا من أسباب الفتنة عليه أن يتجنب تلك الأمور التي يصعب على العوام إدراكها، فتؤدي بهم إلى فتنة أو توقعهم في شك وريبة، وهذا معنى قول علي بن أبى طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله" ([2])، وفي نفس الباب قول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"([3])

وانطلاقا من هذا الكلام ينبغي على الداعية أن يتجنب رواية القصة إذا كان في روايتها معنى يقصر العامة عن فهمه أو يؤدي بهم إلى شبهة، أو كان لا يفيد علما، أو اعتمد على ما هو محال، أو كان سببا في إثارة مسائل تشتبه على السامع؛ فهذا كله من باب القصص المذموم؛ فإذا خلا القصص مما سبق وكان خادما لأغراض الدعوة فهو القصص المحمود.

---

١ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩

٢ – صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا،١/٥٩، برقم١٢٧

٣ – صحيح مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع،١/١٠، برقم٥

" والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} وقال: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ} وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا فهو ممدوح "(١)

وبهذا يتبين الفرق بين القصص المحمود وبين القصص الذي يؤدي إلى فتنة فهو من قبيل القصص المذموم الذي ينبغي أن يحذره الداعية ، وقد ضرب الإمام الغزالي رحمه الله أمثلة لما يمكن أن يحدثه هذا النوع من القصص من تساهل وجرأة على المعاصي فقال:" فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى بها بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتفكيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ ... ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار"(٢)

١ – تلبيس إبليس، لابن الجوزي ، ص١١١، نشر دار الفكر بيروت ،٢٠٠١م
٢ - إحياء علوم الدين، ٧٠/١

ونخلص من هذا الكلام إلى أن القصص كوسيلة دعوية ينبغي أن ينضبط بالضوابط الشرعية بأن يكون صادقا محمودا يؤدي دوره في خدمة أغراض الدعوة دون أن يكون سببا في فتنة للمدعوين.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وإحسانه تتنزل البركات، وبتوفيقه وهدايته تتحقق الغايات، وبعد،

فقد وفقني الله تعالى في هذا البحث للوقوف على أبرز الوسائل الدعوية المرتبطة بالقول من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم للإمام الكبير تاج الدين السبكي، حيث تناولت بالدراسة والتحليل ما ذكره الإمام السبكي في هذا الكتاب متعلقا بوسائل الدعوة إلى الله تعالى، وقد وقفت من خلال الدراسة على بعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولا: النتائج:

١- إن العناية بالتراث الفكري للأمة تقتضي النظر فيما جادت به قرائح علماء الامة وأعلامها فيما يتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل فقها ومنهجا وضرورة الاستفادة من هذا التراث في توجيه العمل الدعوي المعاصر.

٢- يعد الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله صاحب نظرة علمية ثاقبة ورؤية منهجية دقيقة فيما يتعلق بعمل الداعية وما يلزم له من مكونات تأخذ بيديه للدعوة إلى الله على بصيرة.

٣- حرص الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله على بيان معالم نجاح الداعية حال تعامله مع وسائل الدعوة المرتبطة بالقول، وكيف يتحرك الداعية من خلال تلك الوسائل وفق منهج محكم ليسلك بالمدعوين مسالك الرشد.

٤- في بيانه لمعالم نجاح الداعية خطيبا ومدرسا وواعظا يقف الإمام تاج الدين السبكي على مواضع الخلل في أداء الدعاة فيوجههم إلى ما يسد هذا الخلل، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح.

٥- في توجيهاته المتعلقة بوسيلة الدرس في العمل الدعوي يؤكد الإمام السبكي على موضوع الإعداد والإلقاء كما يؤكد على قضية الفروق الفردية بين الدارسين.

٦- أكد الإمام تاج الدين السبكي على العناية بألفاظ الخطبة كما أكد على الاهتمام بجانب التأثير الخطابي.

ثانيا: التوصيات:

١- يوصي الباحث بدراسة كتاب معيد النعم ومبيد النقم فيما يتعلق بالنظم الإسلامية المختلفة كالقضاء والإفتاء والتعليم وغيرها مما حواه هذا الكتاب حيث يعالج تلك الموضوعات ويوجه عمل المنتسبين إليها.

٢- يوصي الباحث الدراسين في مجال الدعوة بالعمل على إحياء التراث الفكري المتعلق بتوجيه العمل الدعوي واستلهام هذا التراث والتفاعل معه بما يعود بالنفع على الدعوة والدعاة.

مصادر البحث

١-أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، نشر منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧ م

٢- أصول الفقه، للإمام محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي.

٣-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني،

٤-التعريفات للجرجاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت

٥-التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، نشر دار الفكر- بيروت

٦-الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد ثابت، نشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ١٤١٧هـ

٧-الحاوي الكبير، للإمام أبي الحسن الماوردي، نشر دار الفكر، بيروت

٨-الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، للإمام محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي.

٩-الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٨م

١٠-السنن الكبرى للإمام البيهقي نشر مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م

١١-المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.

١٢-المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، نشر دار العلم، دمشق، ١٤١٢هـ

١٣-المكونات الأولى للثقافة العربية، لعز الدين اسماعيل، نشر وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٢م

١٤-الموسوعة الفقهية الكويتية، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت

١٥-تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد، نشر دار القلم، بيروت

١٦-تلبيس إبليس، للإمام ابن الجوزي نشر دار الفكر بيروت ،٢٠٠١م

١٧-دراسات في وسائل الدعوة، د / عبد العزيز عبد البصير،

١٨-سنن أبي داود، نشر دار الكتاب العربي، بيروت

١٩-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، نشر دار ابن كثير، دمشق.

٢٠-شرح النووي على مسلم، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢١-صحيح ابن حبان، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م

٢٢-صحيح البخاري، تحقيق د /مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت

٢٣-صحيح مسلم، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤-طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين السبكي، نشر دار هجر للطباعة، الطبعة الثانية١٤١٣هـ،

٢٥-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت

٢٦-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة بيروت.

٢٧-فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حبنكة الميداني، نشر دار القلم، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٨-فن الخطابة، دكتور أحمد الحوفي، نشر نهضة مصر ٢٠٠١م.

٢٩-كيفية إعداد الداعية، د / أحمد غلوش، ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت١٩٧٧م.

٣٠-لسان العرب، لابن منظور، نشر دار صادر بيروت.

٣١-معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، نشر مكتبة المثنى، بيروت.

٣٢-معيد النعم ومبيد النقم، للإمام تاج الدين السبكي، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني،

٣٣-وسائل الدعوة، د / سعيد محمد اسماعيل الصاوي، نشر ناس للطباعة، الطبعة الرابعة ٢٠١٦م

فهرس الموضوعات

الموضوع

مقدمة البحث

التمهيد

المبحث الأول: وسيلة الدرس وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

المطلب الأول: من عوامل نجاح الدرس حسن الإلقاء والتفهيم للحاضرين

المطلب الثاني: التأهيل العلمي المناسب للمدرس

المطلب الثالث: مراعاة الفروق الفردية بين الدارسين

المطلب الرابع: أمور يجب أن يتحرز عنها المدرس

المبحث الثاني: وسيلة الخطبة وعوامل نجاحها من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

المطلب الأول: العناية بألفاظ الخطبة

المطلب الثاني: العناية بالصوت قوة وتعبيرا

المطلب الثالث: ترك الالتفات حال الخطبة

المطلب الرابع: مراعاة حال المخاطبين بترك الإطالة في الخطبة

المطلب الخامس: ترك تكلف السجع

المطلب السادس: أن يكون الخطيب قدوة لجمهوره

المطلب السابع: عناية الخطيب بالتأثير في جمهوره

المبحث الثالث: وسيلة القصة من خلال كتاب معيد النعم ومبيد النقم

المطلب الأول: العناية بقصص القرآن والسنة وأخبار الصالحين

المطلب الثاني: ارتباط القصص بالوعظ والإرشاد

المطلب الثالث: مراعاة أحوال المدعوين الفكرية حال استخدام القصص

الخاتمة

فهرس المصادر

فهرس الموضوعات